المن والسلوى، آيات ثلاث ربانية كانت لصالح الرسالة الموسوية علّهم يؤمنون.

فأما دعاءه «فافرق...» فقد فرق الله بينه وبينهم بموته دون عزله عن الرسالة فإنه عضل، ولا فرقه عنهم حياً فإنه انعزال لا يجوز في سنة الرسالة مهما كان المرسل إليهم عزَّل عن الإيمان وعُضَّل، ومن الفرق هو فارق العذاب لهم في التيه دونه وهارون والمؤمنين معهما.

والقول إن الله فرق بينهم وبين القوم فور دعاءه قبل التيه، تيه في القول حيث كان انبجاس العيون وتظليل الغمام وما أشبه، آياتٍ ربانية بيد موسى عليه السلام وهم في التيه، إذ لا حاجة إلى ذلك الاستسقاء الجمعي وتظليله إلّا في التيه.

فلقد تاهوا في تلك التيهاء لا يهتدون من أي إلى أي، وقد لا تعني ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ حرمة تعبدية إذ هم لم يكونوا يتعبدون بسلب ولا إيجاب، بل هي محرمة عليهم حتى إن لم يكن فيها جبارون حيث أتاهم الله عنها فظلوا في التيه إذ ضلوا عن الأرض المقدسة فيه والله أعلم بما في التيه ومن فيه، بسالبه ومنفيه.

هذا ما يقوله القرآن عن سبب التيه في التيه، وإليكم نصاً من التوراة تائهاً في سبب التيه: «فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياه. هذا ماءُ مريبة حيث خاصم بنو إسرائيل الرب فتقدس فيهم»[1].

ذلك، ولم يسبق هذا النص المزري بحق الرسولين الكريمين إلّا قصة إخراج الماء من الحجر بأمر الله حيث ١٠ - «قال لهم اسمعوا أيها المردة.

(١) (سفر الإعداد ٢٠: ١٢ ١٣).

أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماءً. ١١ - ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماءٌ غزير. فشربت الجماعة ومواشيها. فقال الرب...».

وحصيلة المعنى من دعائه عليه السلام باستجابته أن الله حرم عليهم الأرض المقدسة أربعين سنة، وليس على موسى وهارون وسائر المؤمنين، فقد يلمح أنهما مع هؤلاء كان لهم الدخول إلى الأرض المقدسة خلال الأربعين على أية حال حتى إذا دخلوا مصراً.

إذاً فلم يكن موت موسى عليه السلام في التيه، ولم تكن استجابة دعاءه في الفرق بينه وبينهم إلّا بفارق عذاب التيه حيث قال ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ دون «عليكم».

وهكذا تكون أدعية الصالحين، غير جازمة فيما يطلبون، وإنما حسب المصلحة الربانية، ولم يكن لحاضر موسى من العقدة إلّا ﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ وبناء عليه ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وقد فرق بينهما وبينهم بما فرق.

فهنا في «فافرق..» المتفرعة على ﴿إِنِّي لَآ أَمْلِكُ...﴾ احتمالات عدة:

١ - «فافرق» بعزلي عن هذه الرسالة؟ وتطلُّب العزل عضل من رسول معصوم وفرية جهل على الله تعالى كأنه جهل صلاحية هذه الرسالة فليعزله عنها حين لا يملكها!.

٢ - «فافرق» بتركي حوزه المسؤولية في هذه الرسالة، انعزالاً عن هؤلاء المرسل إليهم إلى عزلة خالية عن الدعوة؟ وتطلُّب الانعزال لا يناسب ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾[1] في الرسالات كلها، ولقد ظلم ذا النون ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا...﴾[2] حيث ترك حوزه الدعوة دونما استئذان من الله!.

٣ - «فافرق» بموتي حيث تمَّ الوحي الرسالي وطم الإنذار فلا طائل

(١) سورة المرسلات، الآية: ٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

بعدُ تحت هذه الرسالة؟ ولا طائل تحت هذا الطلب ممن يعلم مدى صالح الدعوة الرسولية!.

٤ - ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ بموتهم؟ وهكذا الأمر! وعلّ فيهم من يؤثر فيه كرور الدعوة.

٥ - ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ بفارق العذاب الذي هو قضية ذلك التخلف المتواتر المتواصل منهم فلا تشملني وأخي والمؤمنين بذلك العذاب.

٦ - ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ كما تراه صالحاً؟ وهذا هو الأدب الرسولي السامي المرجو من مثل موسى عليه السلام.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ وليس قضية خصوص هذه الحرمة أن يمنعوا عن بلاد أخرى غيرها، ولكن ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أتاهتهم عن غيرها كما عنها، والتيه عذاب أليم أياً كان، ولا سيما في غير بلد وهم في الصحراء وليس لهم إلّا طعام واحد وجوٌّ واحد، كلما يحاولون الوصول إلى مصر لا يستطعون فإن «يتيهون» إخبار عن واقع لا مرد له.

حول التيه وما ورد فيه:

أتراهم وهم في التيه ما حاولوا أن يدخلوا الأرض المقدسة أم غيرها من البلاد ولماذا وهم حائرون بائرون من تيه التيه؟.

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ تعني حرمة واقعية إلى حرمة شرعية فلذلك لم يستطعوا أن يدخلوها، ثم ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ نبأ عن واقع حرمانهم عن الدخول في أية بلدة إلّا أربعين التيه، وقد ورد فيه من الآثار والأخبار ما فيه ما فيه، اللّهم إلّا ما يوافق الواقع المعقول المقبول، الذي يتلقاه المؤمن العاقل بالقبول[1].

(١) بحار الأنوار ١٣: ١٧٦ عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما انتهى بهم إلى الأرض المقدسة قال=

. . . . . .

= لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المَائدة: ٢١] قالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ قَالَ رَبِّ﴾. فلما أبوا أن يدخلوها حرمها الله عليهم فتاهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ . . .﴾ [المَائدة: ٢٦] قال عليه السلام: وكانوا إذا أمسوا نادى مناديهم: أمسيتم الرحيل فيرتحلون بالحداء والرجز حتى إذا أسحروا أمر الله الأرض فدارت بهم فيصبحون في منزلهم الذي ارتحلوا منه فيقولون: قد أخطأتم الطريق، فمكثوا بهذا أربعين سنة ونزل عليهم المن والسلوى حتى هلكوا جميعاً إلّا رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وأبناءهما وكانوا يتيهون في نحو من أربعة فراسخ فإذا أرادوا أن يرتحلوا ثبت ثيابهم عليهم وخفافهم. . . .

وفيه (١٨٠) عن أبي جعفر عليه السلام . . . وكانوا ستمائة ألف. . .

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ . . .﴾ [المَائدة: ٢١] قال: «كتبها لهم ثم محاها» وعن أبي عبد الله عليه السلام إن بني إسرائيل قال لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المَائدة: ٢١] فلم يدخلوها حتى حرمها عليهم وعلى أبنائهم وإنما دخلها أبناء الأبناء.

وعن إسماعيل الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: أصلحك الله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ . . .﴾ [المَائدة: ٢١] أكان كتبها لهم؟ قال: «أي والله لقد كتبها لهم ثم بدأ له لا يدخلوها» وعنه عليه السلام قال: «كتبها لهم ثم محاها ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وعنه عليه السلام فحرمها الله عليهم أربعين سنة وتيههم فكان إذا كان العشاء أخذوا في الرحيل ونادوا الرحيل الرحيل الوحي الوحي، فلم يزالوا كذلك حتى تغيب الشفق حتى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله للأرض: ديري بهم فلم يزالوا كذلك حتى إذا أسحروا وقارب الصبح قالوا: إن هذا الماء قد أتيتموه فأنزلوا فإذا أصبحوا إذا أبنيتهم ومنازلهم التي كانوا فيها بالأمس فيقول بعضهم لبعض يا قوم قد ضللتم وأخطأتم الطريق فلم يزالوا كذلك حتى أذن الله لهم فدخلوها وقد كان كتبها لهم».

وفيه عنه عليه السلام يقول: نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها وبئس البلاد مصر أما إنها سجن من سخط الله عليه ولم يكن دخول بني إسرائيل مصر إلّا من سخط ومعصية منهم لله لأن الله قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المَائدة: ٢١] يعني الشام فأبوا أن يدخلوها فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفياً فيها ثم دخلوها بعد أربعين سنة، قال: «وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلّا من بعد توبتهم ورضى الله عنهم».

وفيه عنه عليه السلام في الآية قال: «كان في علمه أنهم سيعصون ويتيهون أربعين سنة ثم يدخلونها بعد تحريمه إياها عليهم».

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا
وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ
أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ
أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى
ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ
أَجْلِ ذَٰلِكَ ۛ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ
أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَمَنْ أَحْيَاهَا
فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ
كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟
ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ
يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ
ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ
ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

ندرس في ذلك العرض العريض من السورة الأخيرة للشرعة القرآنية أحكاماً تشريعية سياسية قيادية تتبنَّى الحياة الإنسانية السليمة المُطَمئِنَة، تتعلق بحماية الأنفس والأموال والعقول والعقائد والأعراض، وهي النواميس الخمسة التي تتمحورها كلُّ شرعة من الدين.

ولأن النواميس الحيوية تتمحور ناموس النفس والحياة - مهما تقدمها ناموس العقيدة بينها أنفسها - نراه رأس الزاوية في ذلك المخمس، عرضاً لأولى مرحلة عجيبة من جريمة القتل الظالمة النكراء، مخلَّفة عن الحسد القاحل القاتل إذ يحمل أحد ابني آدم صفي الله أن يرتكبها بحق أخيه التقي البريء، ثم يرتبك نادماً أسفاً، وهنا تتقدم مهمة ناموس الحياة وصيانتها في قصة ابني آدم كاشفة عن طبيعة الجريمة وبواعثها في النفس البشرية الحاسدة الكاسدة، كما تكشف عن بشاعة هذه الجريمة في نفسها، وفجورها، وضرورة الوقوف في وجهها، وفرض العقاب الصارم على فاعليها، ومقاومة البواعث والدوافع الكوارث التي تبعث النفس للإقدام عليها، وليعتبر سائر

بني آدم مما حصل لابني آدم، ويأخذوه متراساً عن كل بأس ونبراساً ينير الدرب لمن يدق باب الصلاح والإصلاح.

وقد ينبهنا عُظَم قتل النفس البريئة أحاديث جمَّة مثلما يرويه الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه وقف بمنى حتى قضى مناسكها في حجة الوداع - إلى أن قال - فقال: أي يوم أعظم حرمة؟ فقالوا: هذا اليوم، فقال: أي شهر أعظم حرمة؟ فقالوا: هذا الشهر، قال: فأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: بلى، قال: اللّهم أشهد ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها فإنه لا يحل دم امرئٍ مسلم ولا ماله إلّا بطيبته نفسه ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفاراً»[1].

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾:

النبأ هو خبر ذو فائدة عظيمة، وهذه التلاوة المباركة تحمل عظيم الفائدة وجسيم العائدة لبني آدم ككل، درساً عن ابني آدم الأولين لآخرين منهم إلى يوم الدين.

فليسا هما ابني رجل إسرائيلي سمي بآدم، زعم الاستيحاء من ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾[2] فإنه عَلَم لأبي البشر الأوّل، لا يعني في سائر القرآن الـ(٢٥) مرة إلّا إيّاه لا سواه، ولئن سُمِّي غيره باسمه فيؤتى

(١) وسائل الشيعة ١٩: ٣ القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي أسامة زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف...

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

في يتيمة قرآنية كما يزعم هاهنا، فواجب الفصاحة والبلاغة القرآنية القمة قَرنُ قرينة صارحة صارخة تحوِّله عن مسماه الأصيل إلى بديل.

ثم وقصة الغراب غريبة عن الجيل الإسرائيلي المتحضِّر الغارق في دماء الأبرياء طول خطوطها وخيوطها، ألّا تعرف كيف يواري سوأة القتيل، حتى يبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه!.

وإنها لا تناسج إلّا نسج البيئة البدائية الأولى لبني آدم الأوّل الأوّلين - إذ لم يروا قتيلاً حتى يعرفوا مواراته.

ثم و﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ...﴾ لا تحمل حكم القتل في أصله حتى تُحرم عنه قبل التوراة سائر الشرائع السابقة عليها، بل هي قول فصل في أولى شرعة تفصيلية مترامية الأطراف، تبين المسؤولية الكبرى أمام الأنفس، ومدى الأهمية الجماعية في قتل نفس أو إحياءها، ضابطة صارمة في الشرعة التوراتية المحلِّقة على ما شرع قبلها، كاملة كافلة لصيانة النفوس المحترمة المحرَّمة عن سخاءِ الضياع بأيدي قتلتها الضياع..

ذلك مهما ذكر حكم القتل فيما بعدها كأصل ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ...﴾[1] ولكنها ليست كتابة منحصرة تحسرها عما قبل التوراة من كتاب.

ثم و«بالحق» هنا لها دور المطاردة للمختلقات الزور المختلِّفات عن الحق الواقع، من مختلقات الروايات والإسرائيليات التوراتية وسواها كما وفي نص التوراة إفراط وتفريط في عرض القصة، بعيدين عن وجه الحق وواجهته[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) في الإصحاح الربع من سفر التكوين يقول: «(١) وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين. وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت أخاه هابيل. وكان هابيل=

فـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ خالصاً دون شوب الباطل: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وهذه هي طبيعة الحال في تقريب قربان لله تحقيق قضية الحال أو تبيُّنها أو تفوُّق الحال - طبعاً - في صراع مباراة بين ابني آدم، إن في زواج بين اثنتين مختلفتي الجمال[1]، أم في مباراة استباق لأخذ وصية الوراثة...

= راعياً للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض (٣) وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب (٤) وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه (٥) ولكن إلى قايين وقربان لم ينظر. فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه (٦) فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك (٧) إن أحسنت أفلا رفع. وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها (٨) وكلم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله (٩) فقال الرب لقايين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخي (١٠) فقال ماذا فعلت. صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض (١١) فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك (١٢) متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض (١٣) فقال قايين للرب ذنبي أعظم من أن يحتمل (١٤) أنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك اختفي وأكون تائهاً وهارباً في الأرض فيكون كلّ من وجدني يقتلني (١٥) فقال له الرب لذلك كلّ من قتل قايين فسبعة ينتقم منه. وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كلّ من وجده (١٦) فخرج قايين من لدن الرب وسكن في أرض نودشة في عدن».

انظر إلى هذه الآيات مقايساً لها بآياتها من القرآن واقض العجب من رب يساكن خلقه في أرضه ويجهل ما يحصل عليها حتى يسأل! ثم هو يلعن قايين فيختفي عن وجه الرب ويلعن أرض الجريمة، ولا يسمح لأحد أن يقتل قايين المجرم إلّا وينتقم منه سبعة أضعاف! قتلاً له سبعة أضعاف! أماذا!!!

(١) نور الثقلين ١: ٦١٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: لما أكل آدم من الشجرة اهبط إلى الأرض فولد له هابيل وأخته توأم وولد له قابيل وأخته توأم ثم أن آدم أمر قابيل وهابيل أن يقربا قرباناً وكان هابيل صاحب غنم وكان قابيل صاحب زرع فقرب هابيل كبشاً وقرب قابيل من زرعه ما لم ينق وكان كبش هابيل من أفضل غنمه وكان زرع قابيل غير نقي فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل وهو قول الله عز وجل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ...﴾ وكان القربان إذاً قبل تأكله النار فعمد قابيل فبنى لها بيتاً وهو أوّل من بنى للنار البيوت وقال: =

. . . . . .

= لأعبدن هذه النار حتى يتقبل قرباني ثم إن عدو الله إبليس قال لقابيل إنه قد تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانك وإن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله قابيل فلما رجع إلى آدم عليه السلام قال له: يا قابيل أين هابيل؟ فقال: ما أدري وما بعثتني راعياً له فانطلق آدم فوجد هابيل مقتولاً فقال: لعنت من أرض كما قبلت دم هابيل فبكى آدم عليه السلام على هابيل أربعين ليلة ثم أن آدم عليه السلام سأل ربه عزوجل أن يهب له ولداً فولد له غلام فسماه هبة الله لأن الله عزوجل وهبه له فأحبه آدم عليه السلام حباً شديداً فلما انقضت نبوة آدم واستكمل أيامه أوحى الله إليه أنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة في العقب من ذريتك عند ابنك هبة الله. . .

وفي البحار ١٣: ٢٢٦ بابن عيسى عن البزنطي قال سألت الرضا عليه السلام عن الناس كيف تناسلوا من (عن خ) آدم عليه السلام؟ فقال: حملت حواء هابيل وأختاً له في بطن ثم حملت في البطن الثاني قابيل وأختاً له في بطن فزوج هابيل التي مع قابيل وتزوج قابيل التي مع هابيل ثم حدث التحريم بعد ذلك (قرب الإسناد ١٦١).

وفيه ٢٢٥ ج: عن الثمالي قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام وذكر قصة تناسل الذرية من آدم إلى أن قال: فأول بطن ولدت حواء هابيل ومعه جارية يقال لها إقليما قال: وولدت في البطن الثاني قابيل ومعه جارية يقال لها لوزا وكانت لوزا أجمل بنات آدم قال: فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه وقال: أريد أن أنكحك يا هابيل لوزاء وأنكحك يا قابيل إقليما قال قابيل: ما أرضى بهذا أتنكحني أخت هابيل القبيحة وتنكح هابيل أختي الجميلة؟ قال آدم؟ فأنا أقرع بينكما فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزاء وخرج سهمك يا هابيل على إقليما زوجت كلّ واحد منكما التي خرج سهمه عليها قال: فرضيا بذلك فاقترعا قال: فخرج سهم هابيل على لوزاء أخت قابيل وخرج سهم قابيل على إقليما أخت هابيل قال: فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك قال: فقال له القرشي: فأولداهما؟ قال: نعم قال: فقال القرشي: فهذا افعل المجوس اليوم؟ قال فقال علي بن الحسين عليه السلام: إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله ثم قال الله عليه السلام: لا تنكر هذا أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له فكان ذلك شريعة من شرائعهم ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك، أقول: ذلك الزواج موافق للقرآن في آيات.

وهنا أحاديث أخرى تعارض ما دلّ على أن التناسل من الزواج بين الإخوة والأخوات كما في البحار ١١: ٢٢٠ بسند متصل عن زرارة قال سئل أبو عبد الله عليه السلام كيف بدأ النسل من ذرية آدم عليه السلام فإن عندنا أناساً يقولون: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه وأن هذه الخلق كلهم أصله من الإخوة والأخوات قال أبو عبد الله عليه السلام سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً يقول من يقول هذا أن الله عزوجل جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه=